**المحاضرة الأولى : التاريخ وفلسفة التاريخ**

**المحاضرة الأولى : التاريخ وفلسفة التاريخ**

أولا : مدخل مفاهيمي :

1 -مفهوم التاريخ : إن لفظ التاريخ كلمة ذات مدلولات عديدة و ذات أثر بالغ

على كل من يسمعها و هي تكسب أهميتها بالطبع من كونها اسم لذلك العلم الذي

يعد من أهم العلوم الإنسانية .فعلى الرغم من أن البعض ينظر إلى كتابة التاريخ

على أنها لا يمكن أن تكون علما و لا يمكن إلا ان تكون صنعة أو فنا او فلسفة

, صنعة بتصيد الوقائع, و فنا بإقرار نظام أي معنى داخل فوضى المادة ,و فلسفة

بالسعي وراء وجهة النظر و التنوير.

أ \_ التاريخ كعلم وصفي : من المعروف أن العلوم الوصفية تختلف عن العلوم

العامة مثل الميكانيكا الفيزياء البيولوجيا الكيمياء ...تعمل على اكتشاف القوانين

المفسرة للظواهر التي من نوع واحد بصرف النظر عن الأحوال الواقعية

الزمانية و المكانية لأن هدفها ليس تقرير الواقع بل التنبؤ بما سيكون في أحوال

المعلومة , و العلوم الوصفية تسعى لمعرفة وقائع جزئية فتبحث كيف تتوزع

إما في المكان وحده (كالجغرافيا ,علم النبات ,علم المعادن ,علم النبات... )أو

في المكان و توالي الأزمنة معا (كعلم الجيولوجيا ) و إلى هذا النوع الأخير ينسب

علم التاريخ.

-يجب التمييز بين التاريخ كأحداث وقعت في الماضي أو تقع في الحاضر أو

يتوقع حدوثها في المستقبل و بين التاريخ كعلم يقصد منه حفظ هذه الأحداث و

تسجيلها عبر الوثائق الأصلية و الشواهد الأثرية و الأدلة المختلفة التي تؤكد

حدوثها على نحو ما حدثت .

ب - المعنى الاصطلاحي للتاريخ : لقد ظهر هذا المعنى و تطور منذ أن ابتدعت

لفظة يونانية ISTORIA التي تعود ظهورها إلى القرنين السادس و الخامس قبل

الميلاد و وقصد بها في البداية البحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة لقد انحصر

المعنى العام هذا بمرور الوقت و صارت الكلمة دالة على نوع واحد من

المعرفة و هو معرفة الأحداث التي وقعت في الماضي و بذلك ظهر مفهوم

4

التاريخ بمفهومه الشائع و الذي استخدمه أوائل المؤرخين اليونان أمثال

هيرودوت ثم بدأت هذه الكلمة تتخذ معاني أكثر اتساعا لدى بعض

الفلاسفة ,فقد استخدمها أرسطو في عنوان كتابه (تاريخ الحيوان ) فأصبح

التاريخ ليس فقط تاريخا للإنسان و إنما يمكن أن يكون هناك تاريخ للحيوان

بأنواعه المختلفة و ربما يتسع المعنى أكثر و أكثر ليصبح هناك تاريخ للمعادن

و تاريخ لكل مادة أو لكل شيء من الأشياء الطبيعية الأخرى . وعلى أي حال

فقد انتقل هذا المصطلح من اليونان إلى الرومان غير ان معناه أخذ أشكالا

مختلفة في اللاتينية وبعدها الإنجليزية و الفرنسية أن علم التاريخ يبحث عموما

في الموجود من مخلفات الماضي و سجلاته التي قد تعين على جلاء الحاضر و

توضيحه.

إن علم التاريخ هو مجرد طريقة علمية في البحث أما موضوعه فيتسع

ليشمل جميع المسائل البشرية, فكل ما يقع من الإنسان أو يقع عليه و كل ما

يبنيه أو يهدمه فهو داخل في حدود البحث التاريخي .

2 -مراحل عمل المؤرخ:

يقوم المؤرخ بمهمته التاريخية العلمية عبر مراحل أساسية ثلاث :

المرحلة الأولى: مرحلة التجميع أي تجميع المواد الخاصة بالوقائع الصحيحة و

الحوادث لموضوع البحث التاريخي ,و تعتبر الوثائق الخطية أعظم المصادر التي

تساعد على بلوغ هذا الغرض .

المرحلة الثانية: مرحلة النقد حيث يقوم المؤرخ بفحص عبارات الوثائق الخطية و

كذا التأكد من صحة الوثائق الأخرى و من قابليتها للتصديق .

المرحلة الثالثة: مرحلة التأويل و التفسير حيث تتطلب من المؤرخ سعة الخيال

العلمي فهو لا يكتفي بمجرد رص الحوادث و الوقائع التاريخية بترتيبها

الزمني حادثة أو واقعة بعد أخرى بل يعمل فكره و خياله .

3 \_مفهوم الفلسفة :

أ\_لغة: هي كلمة يونانية قديمة philosophy مركبة من مقطعين ophil و

معناها محبة و Sophy معناها الحكمة أو المعرفة ,و قد عرف الفيلسوف

5

اليوناني و العالم الرياضي المشهور فيتاغورس الفلسفة هي محبة الحكمة من

الغرور أن يدعي الإنسان الحكمة لأن اسم الحكيم لا يليق لإنسان قط بل يليق

بالإله و كفى الإنسان شرفا أن يكون محبا للحكمة و ساعيا وراءها.

ب \_ اصطلاحا : تعني دراسة المبادئ الأولى و تفسير المعرفة تفسيرا عقليا و

كانت تشمل العلوم جميعا المنطق الأخلاق الجمال و على ماوراء الطبيعة و على

هذا المعنى يقال فلسفة العلوم : فلسفة التاريخ , فلسفة الدين , فلسفة القانون...

4 - مفهوم فلسفة التاريخ:

فلسفة التاريخ هي الاسم الذي يطلق على مجال المعرفة الذي يدرس معنى التاريخ

و قوانينه و الاتجاهات الرئيسية لتطوره .فهي تقوم بتفسير مجرى تاريخ البشرية

كله على أساس نظرة فلسفية عامة أي دراسة عقلية ناقدة ترفض الخرافات و تنقح

التاريخ من الأساطير و المبالغات. و هي تبحث في القوانين العامة التي تحكم

تطور المجتمعات الإنسانية و معنى هذا التطور و غايته .و بالمعنى العام تبحث

في الأسباب التي بها تكون الوقائع التاريخية , ومن فلاسفة التاريخ ابن خلدون

,فيكو ,هيغل...

ترجع فلسفة التاريخ من الناحية التاريخية إلى القدماء أمثال أفلاطون , أرسطو ,

أوغسطين... , و في القرن 18 م شهدت تطورا كبيرا على أيدي مفكري عصر

التنوير أمثال فولتير , هيردر , مونتسكو... إلخ.

ولم يمضي زمن بعيد حتى رأى بعض الباحثين أن هناك "علاقة واضحة بين

أساطير اليونان والشرق الأوسط و بين بداية الرواية التاريخية. موضوع فلسفة

التاريخ يبحث في العوامل الأساسية المؤثرة في سير الوقائع التاريخية ويدرس

القوانين العامة المسيطرة على نمو الجماعات الإنسانية وتطورها على مر

العصور.

يعتبر فيكو 1744 \_ 1668 صاحب كتاب العلم الجديد في نظر الكثيرين أول من

أرسى معالم فلسفة التاريخ في القرن 18 و كذلك فولتير استخدم مصطلح فلسفة

6

التاريخ لأول مرة في كتابه طبائع الأمم و فلسفة التاريخ الذي أصدره سنة 1756

و كان يقصد بذلك دراسة التاريخ الحضاري للأمم من وجهة نظرية عقلية ناقدة.

إلا أن مباحث فلسفة التاريخ ترجع إلى أقدم العصور منها كتاب مدينة الله للقديس

أوغسطين , و كتاب المقدمة لإبن خلدون , و كتاب الأمير لمكيافيلي 1532 م ,

خطابة في التاريخ لبوسويه 1681 م , و الحكومة المدنية لجون لوك 1960 م و من

الذين بحثوا في فلسفة التاريخ بعد فيكو و مونتيسكو و فولتير و هردر ,هيجل الذي

استنبط قوانين تطور البشرية من مذهبه العام , و مجمل القول أن جميع فلاسفة

التاريخ يبحثون في القوانين العامة التي لتطور الأمم و الشعوب.

ثانيا : مرتكزات النظريات الفلسفية حول التاريخ :

أ-الكلية : تبدو الحوادث التاريخية أمام الباحث أشتاتا لارابط بينها و اكواما تتراكم

فوق بعضها البعض ولتجنب المصادفات يطلب الفيلسوف الوحدة العضوية بين

هذه الأجزاء و من ثم فإن نقطة البدء في فلسفة التاريخ تكامل بين الأجزاء وترابطا

بين الوقائع ويتشكل من ذلك كله ما يسمى بالتاريخ العالمي الذي يصبح مادة

الفيلسوف . ففلسفة التاريخ لاتقف عند عصر معين و لاتكتفي بمجتمع خاص بل

تضم العالم كله في إطار واحد من الماضي السحيق حتى اللحظة التي يدون فيها

الفيلسوف نظريته بل قد لا يقتنع بذلك ويمد تفسيره إلى المستقبل .

ب\_ العلية: يلجأ المؤرخ في التاريخ العادي إلى التعليل لكنه يتقيد دائما في

استنباطه للأسباب بواقعة جزئية ملتزما بأطر التاريخ أو مقولاته من فردية

وإمكانية أما فيلسوف التاريخ فيختزل العلة الجزئية للحوادث الفردية إلى علة

واحدة أو علتين على أكثر تقدير يفسر على ضوئها التاريخ العالمي وهذا يقتضي

بطبيعة الحال إعادة تشكيل وقائع التاريخ لينسج منها صورة عقلية.

وكما ذكرنا سابقا أن فلسفة التاريخ كمادة بحث ترجع إلى العصور القديمة وقد

و قد اختلفت النظرة إلى التاريخ باختلاف العصور لصلتها الوثيقة بالوضع

الحضاري وبالتطورات الثقافية قد تأثرت دراسة التاريخ وفكرته بتطور الفكر

العلمي والفلسفي خاصة وقد ساهم الفلاسفة والمؤرخون على حد سواء في

الخوض في فلسفة التاريخ .

7

\* تتحدد مجالات فلسفة التاريخ و تطبيقاتها في تعليل و تفسير التاريخ

\_التاريخ العالمي \_ التطلع إلى المستقبل – تفسير ظهور الحضارات و

سقوطها – استخراج القوانين المتحكمة في مسيرة التاريخ ...

من الإشكاليات التي تطرحها فلسفة التاريخ وتحاول الإجابة عنها هل المعرفة

التاريخية ممكنة ? وماهي الأدوات و المناهج التي نتوصل من خلالها إلى

الحقائق التاريخية ?

من خلال هذه الإشكاليات يتضح أن فلسفة التاريخ تمارس أولا نقدها الفلسفي

على مناهج الكتابة التاريخية من خلال بيان حدودها و مجالاتها و بذلك فغن

فلسفة التاريخ تسهم في تحديث و تطوير المناهج و الأدوات التي يستخدمها

المؤرخ في دراسته للوقائع التاريخية و تنبه إلى الأخطاء التي قد يقع فيها و

تكشف عن جوانب الضعف .